مدى اربعين سنة استمرت جهود فرانز كيزك في ملاحظة رسوم الاطفال في المدرسة التي حارب طويلا طويلا من اجل انشائها ، واستطاع الكشف عن القوانين التي يستخدمها الاطفال في خلقهم . وبهذا الصدد يقول هربرت ريد الذي كان من ضمن المسهمين الفعالين في كشف قوانين وملامح رسوم الاطفال وآثارها التربوية : « ... كان كيزك اول من اظهر الفوائد الجمالية والنفسية في اطلاق المجال امام النوازع الخلاقة المتمثلة في الاطفال . فقد كان هو الرجل الذي اخذ على عاتقه المهمة الصعبة : أن يبرىء القيم الجمالية للرسوم التي ينتجها الاطفال ، خلال فترة الاربعين سنة هذه ، نهض تذوق للفن البدائي ، وساعدت التطورات الثورية في الفن الحديث على تقريب فن الاطفال للمدى العام من الذوق الجمالي »(١٢).

وقبل نهاية القرن الماضي ، كان فن الاطفال ، موضوع العديد من الدراسات من جوانب متعددة(١٣)، لم تلبث ان بعثت حركة اهتمام واسعة أدت في اعتاب القرن الحالي ، الى « اكتشاف » فن الاطفال ، فوضعت حوله العديد من الدراسات والابحاث والتقارير ، تناولت انتاج الاطفال من جوانبه السيكلوجية والفنية والاجتماعية والتربوية وغيرها .

ولئن طبعت معالجات النصف الاخير من القرن الماضي ، الوصفية والتقريرية لاعتمادها بوجه خاص على الملاحظة الشخصية ، فان ابرز ما يميز جهود الباحثين منذ مطلع القرن العشرين ، اعتمادها على مناهج جديدة في البحث والدراسة ، تأخذ بالتجريب العلمي والمقارنة ، والربط بين عدة معاملات ، والخروج من اطار العموميات الى التخصيص والتخصص بجوانب محددة من رسوم الاطفال ، والبحث المتقن . كما هو الحال على سبيل المثال مع لامبرخت الذي جمع آلاف الرسوم للاطفال من مختلف الجنسيات ، خضعت لشروط مقننة ، كذلك كلاباريد الذي تميز عن سابقه باهتمامه بالعلاقة بين الرسم والقدرة العقلية العامة خلال مراحل النمو المختلفة ، ايفانوف الذي ربط بين ثلاثة معايير فنية (الاحساس بالنسب ، الادراك الخيالي ، المهارة الفنية) بالاستعداد العام عند الطفل وبجوانب اجتماعية واخلاقية اخرى ، كاتزاروف الذي انصرف الى موضوعات رسوم الاطفال ، شايتن الذي جعل الانسان موضوعا للمقارنة بين رسوم الاطفال من كل الاعمار لكي يتوصل الى « مستوى مميز لكل سن » كرشنشتينر الذي أمضى عامين في جمع ودراسة مجموعة ضخمة من الرسوم ، وضعت في ظروف مقننة لكي يستنتج تقسيمات رئيسية وثانوية لهذه الرسوم ، جورج روما الذي قام بعدة تجارب هامة ، يعد كل منها فتحا هاما في مجالها، كدراسته المقارنة بين الاطفال المتأخرين والعاديين، ودراساته الاخرى على مجموعات صغيرة من الاطفال ، وقد جمعت تجاربه في ما يوصف بأنه « اقيم واكبر بحث فردي » في رسوم الاطفال ، دون ان ننسى جهود فرانز كيزك التي استمرت حتى عام ١٩٣٨ ، في الاشراف على مدرسة خاصة كان برنامجها « أن نترك الاطفال ينمون ، ويتطورون ، وينضجون » حيث لاحظ الاف الاطفال تراوحت اعمارهم من ٤ — ١٤ سنة ، وأدت نتائجه العملية والنظرية الى انقلاب تربوي في طرق تعليم الفن للاطفال(١٤).

ولا ريب أن هذه السلسلة الطويلة من التجارب والابحاث ، والتي تمتد في يومنا هذا الى انحاء العالم بأسره ، قد حققت قفزات نوعية هامة في ميدان تحليل رسوم الاطفال من جوانب متعددة ، لا سيما بعد ان كشفت هذه الرسوم عن قيمة تشخيصية بالغة الاهمية . فهي لغة الاطفال قبل ان تصبح لهم لغة ، وهي التي لا تعرف — حتى سن معين — الحدود والقوميات والثقافات ، فهي على سبيل المجاز ، طريقنا الى عالم الاطفال ، كما كانت رسوم الانسان البدائي في الكهوف طريقنا الى معرفته في عصوره السحيقة ، فهي لغته قبل ان يعرف اللغة المنطوقة والمكتوبة(١٥).

ولئن وجدنا ان العديد من الدراسات التي تعنى برسوم الاطفال ، تنصرف في تحليلها الى اساليب ومناهج متنوعة التخصص ، فلأن طبيعة هذه الرسوم التشخيصية تتيح لنا بأن نرى فيها سجلا متعدد الجوانب لحياة الطفل الاجتماعية والنفسية والجمالية والثقافية ، ولتجاربه وقدراته ، فتتعدد على وجه العموم الاهتمامات والدراسات تبعا لذلك . اذ تنصرف كل منها الى جانب من جوانب هذه الرسوم ، مستخدمة في ذلك نهجا في البحث يلبي اهداف واغراض الباحث ، ويستجيب لنظرته الخاصة في رسوم الاطفال . هكذا وجدنا العديد من التجارب والدراسات قد قامت لاسباب تربوية كتعديل مناهج الرسم في مؤسسات التعليم . كذلك وجدنا من اهتم بدراسة رسوم الاطفال لاسباب